مـــاذا
لو تكلمت الجدران
عن بعض ما جرى عام ٦٧ ؟

•• من لا يعرف مواطن خطئه لا ينعم بمواضع صوابه. لذا ورغم أن عبور السادس من أكتوبر اقال جباها نكستها يوما نكبة الخامس من يونيو التي تواضع صناعها وحواريوهم على تسميتها ((بالنكسة)) . فان حلاوة النصر لا تحجب تدارس مرارة الهزيمة ••

لو تكلمت الجدران .. عنوان موضوع لمشروع كتاب وضعت فيه بعض اللمسات منذ حين ليس بالقصير ، ثم اخذتني عنه على رغمي شواغل الحياة حتى عدت اليه متصفحا فتوقفت عندما رصدت من خلال المحاكمة التي جرت لقادة الطيران اثر نكبة ١٩٦٧ ، وقابلت بين بعض هذا الذي رصدت وبين ما نشر لماما عن اسباب النكبة ، وبينه وبين ما يجب نشره ابراء لذمة التاريخ عند ما يحين الحين فلم أستطع ان انحجب عن ان أسطر اطرافا في زاية بذاتها هي بعض ((الخلفيات)) – على حد دارج التعبير – التي تداخلت في تسبب النكبة ثم تحقيقها .

كان الذي صعد الموقف بين مصر واسرائيل ما اعلنه المسئولون السوريون عن التحركات الاسرائيلية نحو الشمال وعن عدوان طيرانها يوم ٧–٤–١٩٦٧ على قرية اسكوفيا مما اسفر عن سقوط طائرة تحصلت القوات السورية على محركها .

واثر ذلك – والى جانب التصريحات السياسية عن موقفنا من العدو – قصدت سوريا بعثة عسكرية برياسة قائد الطيران الفريق محمد صدقي محمود ووضعت بعد عودتها تقريرا بتاريخ ١٣–٤–١٩٦٧ بينت فيه خطوات الزيارة التي استغرقت ثلاثة ايام .

ثم كشفت عن تهرب السوريين من تقديم ((المحرك)) للبعثة لفحصه ، والاعتذار بعد استغراق الوعود بأن المحرك أرسل الى موسكو ، وقدموا صورة له اتضح انها لمحرك ((جرار زراعي)) . وختمت التقرير بما عنونته بالانطباعات العامة وكان منها :

•• ان البيانات والمعلومات مبالغ فيها ، وما صح منها لا ينبيء عن هجوم شامل او محدود .

•• ان حزب البعث لايملك القوة للعمل ، وهناك سخط عليه ولذا يلجأ الى ((الجمهورية العربية المتحدة)) لمساندته .

•• ان الوضع الحالي غير مناسب لدخول معركة حاسمة مع اسرائيل ، وان امكانيات القوات الجوية لاتسمح بالضرب الشامل .

نقص الامكانيات

وتصور الامكانيات او نقصها التي اشار اليها التقرير كان : **حقيقة مرجعها المصدر المانح المانح وقتئذ للسلاح وملحقاته وهو الاتحاد السوفيتي** الذي كان يتحكم رغم ما يتقاضى من ثمن .

ومن أظهر صور النقص التي عناها قائد القوات الجوية نقص وسائل الدفاع الجوي ، وفي مقدمتها أجهزة الرصد المنخفض التي كان يعلق عليها المتصلون بشئون الطيران اهمية بالغة لتقديرهم أن الهجوم الجوي الاسرائيلي – ان وقع – سيكون على ارتفاع منخفض ، وفي ذلك يشهد عديدون منهم المرحوم الفريق عبد المنعم رياض **((ان كل محاولتنا في الحصول على الرادار ضد الطيران المنخفض باءت بالفشل رغم اننا كررنا الطلب والمحاولة وعلى أعلى مستوى وانتهزنا زيارة الرئيس لروسيا سنة ١٩٦٣ فاثرنا الطلب وحصلنا على وعد لم يتحقق)) .**

بقلم :
علي منصور المحامي

رأى اهل الذكر

ولم يكن الاصرار على توقي ذلك النقص ارتجالا وانما لان رأى القوات الجوية المصرية أن الطيران الاسرائيلي ان أقدم على مفاجأة فالهجوم على المستوى المنخفض الذي لا تدركه أجهزة الرصد الموجودة لدينا . ولا تسعف في تدارك مغبة نتائجه بعض اجهزة الانذار التي كانت موجودة كذلك لانها من النوع الذي لا يعمل الا بعد ان ((يسخن)) وهوما يستغرق بعض الدقيقة التي تسمح للطيران المهاجم أن يفعل الكثير .

ولكن هذا الرأى قوبل بتسفيه الماريشال مانولسكي وزير الحربية الروسي – في محضر مسطور – يرصد فيه انه لا يتوقع ذلك . بل انه يستحيل على اسرائيل وفقا لمدة طيرانها وقدرة طياريها أن تقدم على ذلك ، فان اقدمت يستحيل عليها أن تقطع الشوط او تكمله .

وهكذا رأى أهل الذكر الذين جمعوا آنئذ بين جناحي أهل الرأى واهل الثقة !!

بين السياسة والاستراتيجية

ورغم هذا الذي اظهر عنه نفر من المسئولين العسكريين فقد سدرت السياسة في تصعيد الموقف ، وفي ذلك تقول لجنة تقصي الحقائق التي شكلت اثر الهزيمة :

((ترتبط الاستراتيجية العسكرية لاى دولة بسياستها ، وعلى ذلك فان الاستراتيجية توضع لتحقيق الاهداف السياسية ، ولقد فوجئت القوات الجوية يوم ١٤–٥–١٩٦٧ برفع استعدادها الى حالة الاستعداد الكامل للقتال وحشدت غالبيتها العظمى في سيناء والقتال اعتبارا من ١٥–٥ على أهبة الاستعداد لوضع اتفاقية الدفاع المشترك مع سوريا – كما أعلن ذلك للرأى العام – موضع التنفيذ ، ومعنى ذلك انه كان على القوات الجوية أن تقوم بعمليات تعرضية ضد اسرائيل في حالة قيامها بالاعتداء على سوريا .

((**ولتنفيذ هذا القرار السياسي كان يجب اخطار القيادة العامة للقوات المسلحة مسبقا** ومنها القوات الجوية للتحضير سرا لتنفيذ هذه المهمة .

((... وفي يوم ١٥–٥ **فوجئت** القوات المسلحة **بقرار سياسي آخر** وهو سحب قوات الطواريء الدولية من بعض النقط مثل ام يسير والصابحة في نفس الليلة .

((ويبدو أن استجابة قوات الطواريء الفورية لهذا القرار – **ولكن ليس جزئيا كما كان المطلوب** بل كليا من كافة النقط الموجودة فيها ومن بينها شرم الشيخ – قد أوجد حالة سياسية أخرى تتطلب ارسال قوات لتأمين شرم الشيخ واقفال خليج العقبة .

((ثم صدر قرار سياسي آخر مترتب على الاول وهو قفل مضيق ((تيران)) وكان تنفيذ هذا القرار يتطلب التجهيز له من الناحية العسكرية **وترتب على ذلك أن فرضت التزامات فورية جديدة على القوات الجوية .. لتحقيق الهدف السياسي ..**

((.. كل ذلك في الوقت الذي كانت متطلبات القوات الجوية وعناصر القوات الجوية تحكمها اعتبارات مالية حدت بشكل كبير من استكمال اعدادها وتجهيزها وقت بدء العمليات)) .

ولعل المبرر لاختلال قاعدة علاقة السياسة بالاستراتيجية ما أقسم عليه نفر من الرواة من أنه وبعد تصعيد التصعيد كان تصور بعض السياسيين ((أنه ان تحركت علبة السجاير هذه لتحركت اسرائيل)) .

عنصر المبادرة

وعلاجا للموقف الذي باتت فيه القوات الجوية كان رأى رجالها الافادة من عنصر المبادرة وان تكون لنا الضربة الاولى . ولكن الرد على ذلك كما جاء بشهادة الفريق عبد المحسن مرتجى ردا على سؤال للفريق صدقي محمود : **((أنا سمعت سيادتك قلت ان احنا منظرنا ح يختلف اختلافا كبيرا فيما لو العدو هو اللي هجم في الاول .. وكان الرد ده قرار اتخذ وعليكم انتم باه تتخذوا الاجراءات المضادة))**

وكان القرار الذي اتخذ الا نأخذ المبادرة وكان ذلك القرار هو ماعبر عنه الرئيس الراحل في خطابه يوم ٢٣–٧–١٩٦٧ بأنه كان نتيجة للخديعة السياسية وعملية التضليل السياسي

ومع ذلك وكما ذكر الاستاذ محمد حسنين هيكل بالاهرام ١٠ نوفمبر سنة ١٩٦٧ ((ان كارثة الطيران صباح ٥ يونية لا تكفي وحدها لتفسير او تبرير ما وقع بعد ذلك في سيناء تفسيرا ماديا)) .

ولقد كان ذلك كذلك فعلا لولا الكثير ، ومنه ..

ما ثبت من تراخي القيادة العامة للقوات المسلحة في التصرف رغم ماثبت في التقارير الرسميه من تحركات العدو الساعة ٢٣ مساء يوم ٤ يونية أمام بيرين ورفح والشيخ زايد ، وما ثبت من أن أول اختراق برى لحدودنا حول ((الموجة)) تم في الثامنة من صباح ٥ يونية و ((لام بسيس)) أمام موقع ((الباطور)) بعد ذلك بنصف ساعة .

كذلك فمن حديث المرحوم الفريق عبد المنعم رياض انه جاءت اشارة من محطة الرصد ((بعجلون)) بالاردن عن ظهور طائرات العدو على شاشة المحطة قبل هجومها على مصر بما يجاوز العشرين دقيقة وانها ابلغت للقيادة ولكن خطأ في استقبالها افقد الابلاغ قيمته ، بينما وكما يقول الفريق **((ان عشر دقائق قد تكون غيرت وجه التاريخ)) .**

وحلفاؤنا

أما حلفاؤنا في دائرة الدفاع المشترك فمن مواقفهم ما يقول فيه عبد المنعم رياض حرفيا : ((بكل أسف لم يكن هناك تنسيق بين القوات في البلاد العربية لظروف سياسية .

سوريا عموما كانت تتصرف في كل ما يغاير مبادئها واذا كان هذا سياسيا فهو يفضح على التصرف العسكري .

لما بدأ القتال على مصر اتصلت بسوريا وطلبت طلوع الرد ، فكان الرد انهم مش جاهزين)) .

ويضيف الرجل في حسرة وحدة : **((لما تنضرب مطاراتنا الساعة تسعة وعشر دقائق يجب ان تضرب سوريا اسرائيل الساعة تسعة وربع او تضرب طائراتها عند عودتها .. انما تقوم الساعة الواحدة .. ده كلام فارغ)) .**

ونصحاؤنا

واما نصحاؤنا فكما قال الفريق مدكور أبو العز والعقيد حسن حسني وسواهما : أن خطتنا كانت مبنية على أساس سليم ١٠٠٪ **ولكن على أساس نسبة الخسائر التي قدرها الخبير الروسي الذي وضع خطة الدفاع الجوي عن الجمهورية وفي حدود امكانياتنا** ومن معرفته للنقص الذي نعانيه في المعدات وهي نسبة من ١٥ الى ٢٠٪ ، وكان ذلك رغم معارضة بعض قادتنا ومنهم ((العميد)) علي بغدادي .

كذلك اتضح ان عدم القيام ((بالمظلات الجوية)) منذ أعلنت حالة الاستعداد القصوى كان سببا من أسباب ما حاق بسلاح الطيران المصري . وكان من رأى بود جورني قائد الطيران الروسي في يناير سنة ١٩٦٧ وسافلنسكي وزير الحربية في محاضر له في ١٦–٧–١٩٦٧ أن المظلة الجوية جريمة تستهلك الطيران والطيارين ولا تجدي الا اذا توافرت لها امكانيات خاصة لا تقوى عليها بين دول العالم سوى أمريكا .

من حديث الجدران ..

وهذا الذي كان بعض ما كان .. والذي لو تحدثت الجدران بما شهدت وما سمعت لافضت بالكثير مما تحجبها عنه مؤقتا حرمة التاريخ او سرية الامانة .. ولكنه رغم قلة ما روت الجدران فانه يدل على الكثير .. ((ويا بخت من العظ)) .